السّر x سابع بير!!

أتى من المدينة لإصلاح جرارات وماكينات حضرة العُمدة وصيانتها.

وكان لا بد للقيام بهذه المهمة الإقامة الكاملة بدوّار العمدة لمدة لا تقل عن أسبوع بأي حال من الأحوال طبقًا لتقديره..

وقد أعد نفسه لهذه المهمة، واختار أحد صبيانه المشهود لهم بالكفاءة لمساعدته في إنجاز عمله..

وكان يؤمن بأن الصنعة ما هي إلا عدّة وصبى نشط..

ولما كان العمدة مضيافًا بطبعه فقد استقبلهما بحفاوة بالغة، وأكرمهما أشد كرم طول فترة الإقامة بالقرية، ولم يطمع في أكثر من شغل مضبوط، لا يضطره إلى الاحتياج إليهم مرة أخرى قبل فترة طويلة!..

ومن ذا الذي يستطيع الفوز بالأسطى «خالد» بسهولة وبدون حجز مُسبَق قبل شهر على الأقل؟؟

والأسطى خالد يعمل مع الخواجة «ألبير»، وتتلمذ و«شرب الصنعة» على يديه منذ نعومة أظافره، والحق أن الخواجة يعامله كأحد أبنائه، ولا يستطيع الاستغناء عنه لحظة واحدة.. وقد خصَّصه لأعمال (الخلاء) أي العمل خارج الورشة، فقط لتميزه بما يؤهله لذلك..

ونظرًا للشهرة الواسعة التي يتمتع بها الخواجة في إصلاح الآلات والماكينات الزراعية وصيانتها، فقد أصبح الأسطى «خالد» أيضًا معروفًا على مستوى المحافظة، ويتمتع بالشهرة نفسها، لذا فكان من الصعب الحصول عليه وتحديد موعد عمل معه، لدرجة أن البعض كان يُطلق عليه لقب «دكتور»!

وانتهى الأسبوع دون أن ينتهي خالد من عمله الموكل إليه، فبدأ الخواجة في الاتصال به لاستعجاله، نظرًا لكثرة الأعمال الأخرى التي تنتظره لدى عُملاء أُخر، ولكن يبدو أن خالد قد (استحلى) هذه الشغلانة فأخذ يُبطئ في إنجازها!

والسبب وراء ذلك أن الأسطى خالد– في أول أيام حضوره لدوَّار العمدة– لمح فتاة في عمر الزهور لا يستطيع هو نفسه أن يصف جمالها ورقتها وخفة دمها!

ورجّح أنها ليست زوجة العمدة، حيث إنها في ربيع العمر،

بينما العمدة في خريفه!

كما أنها ليست ابنته، حيث إنه يعلم أن العمدة لم ينجب «صبيان أو بنات». وكان اسمها «جمالات».

ولما كان الأسطى خالد يدندن– أثناء عمله– بمقاطع من أغنيات العندليب الأسمر التي يعشقها الجميع، فكانت الفتاة تقف مشدوهة تصغي السمع إليه، وكلما (هفَّها) المزاج لسماعه عن قُرب، تقوم بإعداد برّاد الشاي الأسود بنفسها وتقدمه له، وعندما يلتقط الكوب من فوق الصينية تتوه عيناه في صفاء عينيها الزرقاوين، فتضل يده الطريق إلى كوب الشاي، فتبدي إعجابها الشديد بصوته الشجن..

أما عن الصبي الصغير فلم يقو على كتم إعجابه بهذا الجمال الأخَّاذ، فكان يختلس إليها النظرات هو الآخر..

أما عنها، فرغم ما عندها من خدم وحشم فإنها كانت ترغب القيام بمهمة إعداد الشاي بنفسها للأسطى خالد، والعمدة دائمًا مشغول بالعموديّة..

.....

ذات مرة لاحظ العمدة أن زوجته مبسوطة فوق العادة!

وقد بدأت هي الأخرى تدندن أثناء إعداد الشاي للأسطى خالد.. فلعب في عبه الفأر وسألها:

- عاملة الشاي لمين يا جمالات، أنا مطلبتش حاجة؟
- هو أنا لازم أنتظر إما تطلبه، ما أنا عارفة مزاجك يا عُمدة..
- لكن أنا مليش مزاج لشرب الشاي دلوقتي.
- خلاص ولا تزعل يا عمدة، نقدمه للناس اللي شغالة في المكن.
- ولا الناس اللي شغالة هتطفح شاي! إيه رأيك؟
- لكن الشاي إتعمل وهيتشرب يا عمدة، وأنا قلت هيتشرب يعني هيتشرب، وأما أشوف بقى هتعمل إيه!

فسحب العمدة صينية الشاي في صمت وخرج بنفسه ليقدمها للأسطى خالد.. الذي شك أن في الأمر شيئًا..

ولما وجد العمدة أن الشغلانة طالت، وقاربت على الأسبوعين ولم ينته العمل بعد.. هاج وماج وأخذ يكشِّر عن أنيابه، ويغيِّر من معاملته للأسطى خالد طالبًا إنهاء العمل في أسرع وقت، حيث إنه سوف يقوم بمأمورية للقاهرة بعد يوم أو اثنين على الأكثر.. ولم يكن يعلم أن هذا الاستعجال قد يكون على حساب الشغل فيؤثر على جودته والاهتمام به!

وعندما اعترض خالد على ذلك، موضحًا أنه لا يحب العمل بهذه الطريقة، ويمكن تأجيل باقي الشغل لمرة ثانية ثار العمدة للمرة الثانية، وراح يندب حظه ويشكو من وقف الحال وتعطيل المصالح، فوعده خالد بأنه سوف يحاول جاهدًا أن ينهي جميع أعماله– بمشيئة الله– في خلال يومين اثنين..

فهدأ العمدة وعادت الابتسامة إلى وجهه بالعافية حتى يرضى الأسطى خالد!

.....

في هذه الليلة حدث ما لا تُحمد عقباه!

فقد تطورت الأمور بسرعة وطُلِب العمدة في منتصف الليل للسفر فورًا إلى وزارة الداخلية بمصاحبة السيد/ مدير الأمن ومأمور الركن لأمر مهم!.. وكان الأسطى خالد وصبيه يغطان في نوم عميق.

الليل قد أوشك على الانتهاء، الفجر قد اقترب من البزوغ، وشعر الأسطى خالد بمن يهمس في أذنه ويهز كتفه ليوقظه.. فنهض منزعجًا فوجدها «جمالات» بشحمها ولحمها في قميص نوم وردي..

- إيه الحكاية؟ اللهم اجعله خير! فين العمدة؟!

فنظرت إليه من فوق لتحت وأجابت:

- ومالك كدة اتخضيت ليه؟ قدامك حاجة تخض؟!

- أبدًا أبدًا العفو بس بسأل..

- سألت عنك العافية ياخويا.. بلا عمدة بلا زفت!، تفتكر أنا سعيدة معاه؟! تفتكر إنه راجل أوي!

فاشتد ذهوله، وحملق في عينيها متسائلاً:

- هو زوجك؟ والله ما أعرف لغاية دلوقت! كنت بافتكره والدك ولا قريبك!

فقالت وقد جلست بجانبه على حافة السرير والولد مستغرق في نومه:

- والدي ولا قريبي؟!.. اسم الله عليك يا خويا..

وكانت تقترب منه أكثر وهو يتراجع إلى الوراء..

ثم استطردت وهي تستعرض مفاتنها أمامه:

- العمدة اللي أنت شايفه قدامك دا طول وعرض وهيئة وشخط ونطر بالكذب، دا منظر وبس، مافيهوش فايدة ولا عايدة... زي عدمه!

ومالت عليه وكادت تلثمه ثم استطردت:

- وأنا اللي عايشة في نار، ومش عارفة اتصرف إزاي، وعيب لما الواحدة تتكلم في حاجة زي دي، وأرجوك تعتبر ده سر بيني وبينك!

فهز رأسه ليطمئنها قائلاً:

- في سابع بير.

وبعد هنيهة صمت سألها في حنو:

- وإيه المطلوب مني دلوقتي؟ أقدر أقدم إيه خدمة؟

فقالت بخجل واضح:

- أبدًا أبدًا.. ألف شكر.. أنا معتبراك زي أخويا..!

- وأنا تحت أمرك.

وبقدر ما كانت تطمع في الكثير منه، بقدر ما احترمت نبله وحسن أدبه وإخلاصه لحضرة العمدة.

وعادت إلى مضجعها، وظلت مُسهدة حتى الصباح (ولا من شاف ولا من دري.. ويا دار ما دخلك شر).

وباءت محاولتها بالفشل على خلاف ما كانت تنويه!